

الامامة والسياسة

[49] ليس بيني وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب فلما أتى عليا الكتاب، ورأى ما فيه، وما هو مشتمل عليه، وكره ذلك، وقام فأنى منزله فدخل عليه الحسن ابنه، فقال له: أما وإني كنت أمرتك فعصيتني، فقال له علي: وما أمرتني به فعصيتك فيه ؟ قال: أمرتك أن تركب رواحلك، فتلحق بمكة المشرفة، فلا تتهم به، ولا تحل شيئا من أمره فعصيتني، وأمرتك حين دعيت إلى البيعة أن لا تبسط يدك إلا على بيعة جماعة، فعصيتني، وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير أن لا تكرهما على البيعة، وتخلي بينهما وبين وجههما، وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا، فوإني لو تشاوروا عاما ما زويت عنك، ولا وجدوا منك بدا، وأنا آمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما، وترد إلى الناس أمرهم، فإن رفضوك رفضتهم، وإن قبلوك قبلتهم، فإني وإني قد رأيت الغدر في رؤوسهم، وفي وجوههم النكث والكراهية. فقال له علي، أنا إذا مثلك، لا وإني يا بني، ولكن أقاتل بمن أطاعني من عصائي، وإيم إني يا بني ما زلت مبيغا علي منذ هلك جدك، فقال له الحسن: وإيم إني يا أبت ليظهرن عليك معاوية، لان إني تعالى قال (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) فقال علي يا بني، وما علينا من ظلمه، وإني ما ظلمناه، ولا أمرنا ولا نصرنا عليه، ولا كتبت فيه إلى أحد سوادا في بياض، وإنك لتعلم أن أباك أبرا الناس من دمه ومن أمره. فقال له الحسن: دع عنك هذا، وإني لا أظن، بل لا أشك أن ما بالمدينة عاتق (1) ولا عذراء ولا صبي إلا وعليه كفل من دمه. فقال: يا بني إنك لتعلم أن أباك قد رد الناس عنه مرارا أهل الكوفة وغيرهم، وقد أرسلتكم جميعا بسيفيكما لتنصراه وتموتا دونه، فنهاكما عن القتال، ونهى أهل الدار أجمعين. وإيم إني لو أمرني بالقتال لقاتلت دونه، أو أموت بين يديه. قال الحسن، دع عنك هذا، حتى يحكم إني بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. قال: ثم دخل المغيرة بن شعبة، فقال له علي: هل لك يا مغيرة في إني ؟ قال: فأين هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: تأخذ سيفك، فتدخل معنا في هذا الامر، فتدرك من سبقك، وتسبق من معك، فإني أرى أمورا لا بد للسيف أن تشذ لها، وتقطف الرؤوس بها، فقال المغيرة: إني وإني يا أمير المؤمنين ما رأيت عثمان مصيبا، ولا قتله صوابا، وإنها لظلمة تتلوها ظلمات، فأريد يا أمير المؤمنين - إن أذنت لي - أن أضع سيفي وأنام في بيتي حتى تنجلي الظلمة ويطلع قمرها، فنسرى مبصرين، نقفو آثار المهتدين، ونتقى سبيل الجائرين. قال علي:

(1) العاتق: المرأة في منتصف عمرها، والعذراء البكر التي لم تتزوج. (*)

